سلسلة مقالات القديس الأنبا ساويرس
البطريرك الانطاكي

٩

المرأة الخاطئة

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

سلسلة مقالات القديس الأنبا ساويرس
البطريرك الانطاكى

٩

مقال القديس الأنبا ساويرس عن

المرأة الخاطئة

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثالث من الجزء السادس والعشرين من مجموعة :

Patrologia Orientales , R. Graffin – F. Nau
Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche
Homélie C X VIII.

من اليونانية فالسريانية وترجمه إلى الفرنسية العالم الأثرى
Maurice Briere .

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

قد حضرت من نفسها ، فهى التى أختيرت من بين الأمم فى كل المسكونة ، وقد آمنت طوعاً بالمسيح الذى كان عند المائدة مع الأشرار وناكرى الجيل .

وحسناً جداً قال الكتاب : « **واذا امراة فى المدينة كانت خاطئة** » **لو ٧ : ٣٧** ليس بأسلوب واحد ، بل بكل الطرق المختلفة من جهة الخطية وخاصة العهارة ، واعتاد الكتاب فعلا أن يطلقها على كل خطية على وجه العموم ، وبالأخص ترك عبادة الله وخدمته ، فهى فى كل مرة تؤدى إلى عبادة الأصنام الميتة . والحجارة والأخشاب ، بدلا من عبادة الله الواحد وحده .

وهذا ما يقوله داود أيضاً مرنماً لله : « **من لى فى السماء . ومعك لا أريد شيئا فى الارض . قد فنى لحمى وقلبى . صخرة قلبى ونصيبى الله الى الدهر . لانه هوذا البعداء عنك يبيدون . تهلك كل من يزنى عنك** » **مز ٧٣ : ٢٥ — ٢٧** . ويقول أيضاً : « **وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا . وذبحوا بنيهم وبناتهم للاوثان واهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الارض بالدماء . وتنجسوا باعمالهم وزنوا بافعالهم** » **مز ١٠٦ : ٣٦-٣٩** .

وكذلك فى سفر القضاة أيضاً : « **فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بايدى ناهبين فنهبوهم وباعهم بيد اعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف امام أعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم . فضاق بهم الأمر جدا** » **قضاة ٢ : ١٤ — ١٥** .

فكانت الكنيسة إذن قد أتت مثل هذه الأعمال وكانت تنمو فيها هذه العادات ، كانت خاطئة وخطيئتها متنوعة عديدة الأشكال .

وفى كلمة الإنجيل القائلة : « **واذا امراة فى المدينة كانت خاطئة** » **لو ٧ : ٣٧** دلالة كبيرة . فهى كانت مشهورة بطريقة ما فى كل المدينة بسبب الشر ، وعرف عنها فى كل مدينة لدى الناس أنها خاطئة ، وهى لا تتقرب بجرة ، لكن بعد اعترافها بالمسيح بعين المعرفة . ويقول الكتاب : « **اذ علمت انه متكئ فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب** » **لو ٧ : ٣٧** .

احضرت بفرح وعاءً من المر ممتلوءاً بالعطر ، رمزاً إلى الإيمان المجيد الحقيق الطاهر الذى يحوى قوام الفضائل الزكية

« بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد آمين »

غبطة أبينا المكرم الانبا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

هذا كنز آخر من كنوز القديس ساويرس أودعه خواطره عن المرأة الخاطئة التى سكبت الطيب على السيد . ان القديس ساويرس فى هذا المقال يصور باللفظ ما يعجز عن تصويره كبار الشعراء ، حس مرهف ، وصفاء مبدع ، ينساب منه القول رقراقاً فعالا مؤثراً يمس سويداء القلب ؛ إذ يصور لنا السيد وهو يرى ما يعانيه البشر من قوى الشر والظلام فيحرم الضحايا سلامة الفطرة وصفاء النفس إذ تهزمهم الظلال ويكبلهم الشيطان.

لقد تراءف السيد ذو المراحم العالية على تلك المرأة ففك قيودها وغفر لها وطهرها من ذنوبها وكان فى هذا منتهى العجب.

من هنا انهمرت سيول الغفران جزاء وفاقاً لما سكبته من الطيب دليلا على محبتها التى صادفت قبولا من السيد رغم اعتراض الكثيرين .

وهكذا يجد الخطاة الذين تفيض قلوبهم بالمحبة مثل محبة تلك المرأة ، تجاوباً ليس فقط فى النجاة من صراع النفس العنيف بل فى التطهير والغفران فينسون دموعهم ويعود إليهم سرورهم .

ما أفظع الخطية ، تلك التى أحرقت قلب المرأة فلولا أن تداركها الله بمراحمه لفنيت مثل زهر العشب أو يبست وألقيت فى التنور .

وما أرحم تلك اليد التى أنقذتها من يد البشر القساة وكانت تترامى تحت أمواجه تتقاذفها حتى أتت بها إلى المصير الذى كانت ستلقاه على أيديهم فى لمحة وفى حضرة السيد وعند أقدامه المقدسة كانت المعجزة فإذ قد عرفنا ذلك فلنحذر الانزلاق فى مزالق الخطية والاستهتار إستهانة وتغافلا . فلن يكون إلا الدينونة الرهيبة ليس أمام البشر القساة فحسب بل أمام كرسى الملك الديان الرهيب .

وفى هذا المقال أبان لنا القديس شيئاً من عصارة القلب التى بذلتها المرأة إبتغاء اصلاح السيرة وتطهير النفس عند ذلك النور البراق .

نرجو أن ينمو ويزدهر فينا الجهاد الروحى وأن يجعلنا الرب مستحقين للحياة الأبدية ولإلهنا المجد والعظمة إلى أبد الدهور آمين .

† † †

توبة امرأة خاطئة

كما أن الذين يتأملون لوحة مرسومة بطريقة كاملة تلفت النظر ، أو تبهرهم صورة جميلة جداً لرجل أو لإمرأة ، يظهر فيها الفن وبهاء الألوان ، مصنوعة بعناية حتى لتصل إلى أعلى درجات الجمال ، يعلقون عيونهم ويثبتونها عليها باجتهاد كثير ، وإذ يلبثون صامتين أمام المنظر يتلذذون بطريقة ما ويتمتعون به حتى الشبع متعلقين بالرؤيا التى يعتزون بها جداً ، وبينما يتقدمون ويحيشون ويذهبون، لا يزال فى فكرهم ماشاهدته أعينهم وأنتزعوا عنه إنتزاعاً هكذا وانى حينما سمعت عن المرأة فى كتاب الأناجيل الملهم بها من الله . لقد رسم إمرأة ذات سيرة سيئة ، وصوّرها لنا بالكلمات وأحضرها أمام أعيننا بطريقة أكثر وضوحاً وبياناً من أى لوحة أو أى صورة يبرز فيها الفن ، إمرأة ذات سيرة سيئة تتوب فجأة نادمة على الشر، وإذ عرفت ما يتبع تغيرت بطريقة سرية بسرعة فائقة ، فخلعت عنها الوصمة وبدت كأنها تمثال للكمال واضح وككتاب أمام كل الناس .

فبعد أن أرهفت سمعى على أمرها ، وبعد أن أخذت بهذه الصورة الحية النافعة جداً التى لا تتميز بظهرها الخارجى فحسب،

بل بما إحتوته من الأفكار التى فى العمق ، لأنى لا أستطيع أن أبرز هذه المتعة، فأخرج وآتى علانية، لكى أقول عنها من جديد أيضاً أمامكم ، بأية طريقة كانت ، فى محبة للعلم فائقة .

لأنه هكذا يكون شأن أولئك الذين تثيرهم الرغبة فى شىء ما ؛ إنهم يحبون أن يكرروا كثيراً ما يعتزون به فيذكرونه كثيراً بفمهم ويحاولون أن يجعلوه أكثر إيجابيـــة عن طريق الرواية ، لكى يشركوا الذين ينصتون إليهم أيضـاً فى رغبتهم حقيقة ويمتدحوا ما يحبون مما يتكلمون عنه .

لكن إذا رضيتم ، نضع أمامكم ثانية الرسم ونتمثل الصورة من جديد حسب الأناجيل المقدسة كنموذج .

« وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ . واذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة اذ علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب» لو ٧ : ٣٦-٣٨.

† † †

محبة الرب يسوع

تبكتنى محبة الرب يسوع ، أو بالحرى تبكتنى المعجزة . وفى الواقع أنا أعجب من حلم الله الذى يتجلى فى تغيير الشر بواسطة الخير . فهو يقبل أن يشترك فى مائدة واحـــدة مع الفريسيين الحسودين ، هؤلاء القتلة الذين يحاربون ضده ، ويأكل الحسد قلوبهم لمجرد رؤيته ، ولا يقدرون أن ينظروا إليه ، فحق عليهم قول أشعياء النبى : **« الذين يقولون للمرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات . كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات . حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل اعزلوا من أمامنا قدوس اسرائيل » اش ٣٠ : ١٠-١١ .**

وهو تعالى يفعل ذلك لكى يدعوهم إلى السلام بينما كادوا يتميزون غضباً ، فلكى يقطع كل عذر حين كانوا لا يتغيرون . فعلا ، لا شىء مثل الاشتراك فى المائدة وفى الغذاء يستطيع أن يؤلف بينهم ؛ حتى بين الأعداء الذين يحاربون بعضهم بعضاً كثيراً جداً .

هكذا أيضاً يجمع سر التقوى العظيم أعضاء الكنيسة فى جسد واحد ، له هذا الهدف ، وحدة التفكير فى الثالوث الأقدس ،

ووحدة الاشتراك فى النور المتألق من هناك ، كما يقول المسيح أيضاً الواحد من الثالوث الأقدس : « **ليكون الجميع واحدا كما انك أيها الآب فى وانا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم انك أرسلتنى** » يو ١٧ : ٢١ .

أقول ، إننا نحتفل بسر التقوى العظيم بمائدة مقدسة وبوليمة واحدة مشتركة ، نشترك فيها بنفس الشرف ، تذكرنا بكلمات بولس الرسول الذى يدعونا فى نفس الوقت الأتفاق المرضى ويدوى صوته بما يجب أن يعمل : « **بكل تواضع ووداعة وبطول اناة محتملين بعضكم بعضا فى المحبة مجتهدين ان تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام . جسد واحد وروح واحد كما دعيتم ايضا فى رجاء دعوتكم الواحد** » اف ٤ : ٢ - ٤ . وأيضاً : « **فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعا نشترك فى الخبز الواحد** » ١ كو١٠ : ١٧ .

† † †

كبرياء الفريسى وانسحاق الخاطئة

وبينما كان الفريسى يتناول طعامه مع المعلم الحكيم المعطى هذه التعاليم المقدسة ، الله ، بعيداً عن الرسميات ، وبينما كان متكئاً معه على نفس المائدة ينظر إلى وجهه، كان لا يرى ولا يفهم عظمة ذاك الذى تنازل حتى إليه . وحينما كان يرفع جبينه بكبرياء ، كان يفكر أيضا أنه كان قد صنع معروفا ليسوع وأن يسوع مدين له بالشكر .

لكن المرأة الخاطئة فيما كانت واقفة سراً فى الخلف لا تحسب نفسها مستحقة لنظرة تلك العينين المملوتين بالرحمة والسلام الإلهى ، عرفت : الذى لم ينظر إليها الذى كان متكئاً على المائدة ، وفى صمت قدمت له التماساً كما لمن يسمع القلب . كانت فعلا تذرف الدموع ينبعث منها صوت وكانت تسيل بغزارة وتسقط على قدميه الإلهيتين . فكانت تغتسل بطريقة خفية من خطاياها ، إذ تغسل قدميه ؛ لأنه نظير الدموع غمرتها سيول نعم التطهير . فضلا عن اكرامها له بالطيب تدهن به قدميه باهتمام وتقدم له مجداً يليق بالله ، فاختلطت دموع توبتها والاعتراف مع عبير الطيب وتقبلها الله رائحة زكية .

كان الفريسي يرى ذلك فتشتغل فيه نار الحسد والشك دون أن يتأمل بفهم. قال في نفسه شراً، ومن الفكر كان الهوى يتعجل الانفجار إلى الخارج بينما لايزال في الداخل يعمل في الحاسد؛ فاذا كان صدى الأفكار التي كان يسوع يسمعها حتى وان كانت خفية؟ يقول الكتاب: **« فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلا لو كان هذا نبيا لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي انها خاطئة »** لو ٧ : ٣٩.

أي نبي، أيها الفريسي، يبغض الخطاة ويرفض لمسهم مبتعداً عنهم كأنجاس؟ هلا تسمع الكتب المقدسة، أفلا تعرف أنهم ألقوا لصاً سوريا ميتاً على عظام أليشع النبي فعاد إلى الحياة بلمسها؟ **« وفيما كانوا يدفنون رجلا اذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه »** ٢ مل١٣: ٢١. كيف لاتقودك إلى الحق صور الناموس السالفة؟ هذه فعلا سبق أن عملها الأنبياء حتى ترى أن يسوع لم يقم الآخرين بحسب بل قام هو نفسه، لأن هذا الله وحده الذي يستعمل سلطانه الذاتي، فتؤمن أنه هو ذاته حقاً الذي قال: **« انا هو القيامة والحياة »** يو ١١ : ٢٥، وهو الذي

صنع مثل هذه المعجزات قديما بواسطة الأنبياء أيضا، فيتعلم المرء أولا أن يحذو حذو آبائه، ويتدرج منها إلى كمال الإيمان بالمسيح. هكذا بالتالي لم تفت المسيح لمسة المرأة كما ظن هذا الفريسي، لكنه عرف بوضوح أنها بالحرى لمسته بقلبها، وليس بيديها، وقد ارتضى ذلك.

ولكي يأتي يسوع بالفريسي إلى هذه الفكرة، كلمه بأمثال كاشفاً سقم تفكيره. قال: **« كان لمداين مديونان. على الواحد خمس مئة دينار وعلى الآخر خمسون. واذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعا. فقل ايهما يكون اكثر حبا له. فاجاب سمعان وقال أظن الذي سامحه بالاكثر. فقال له بالصواب حكمت »** لو ٧ : ٤١-٤٣.

« أيها الفريسي، ان نظرك غليظ، تفحص لمس اليد وتحكم أن هذه المرأة ليست طاهرة. أما أنا فأنظر إلى عمق فكرها حيث تركزت كل هذه: انها شعرت بخطاياها، وبكت، واحبت، وقدمت هذا الزيت المعطر كبرهان على محبتها. ولذلك فقد اهتممت بمحبتها، تلاحظ عنايتي الإلهية دائماً حركة روحها، واسبق واذهب لما بعد ذلك: لأجل محبتها منحتها مقدماً تاركاً

لها ديونا عديدة ، قبل ان تحكم أنت نفسك أن اللمس الخارجي نجس ، لأن المرأة قد تطهرت مقدما من الداخل . هكذا بالتالي لم تكن خاطئة ، ياهذا ، تلك التي حسبتها خاطئة . إذ انها بعد أن عرفت غنى العطية ، وزنته بالمحبة الزائدة » .

أرأيت كيف تتألق الصورة ؟ لنبحث إذن ونتظر إلى ما هو خفي وأكثر تألقا . ان هذا الفريسي في الواقع يمثل صورة مجمع اليهود الذي سكن كلمة الله أولاً بالقرب منه ، لم يكن معروفا سوى في فلسطين ، كما لو كان في بيت واحد ، بينما كان يظهر بجانب خيمة الشهادة ، كما يقول بفم ناثان النبي للملك داود الذي كان يريد أن يبني هيكلا : **«لاني لم اسكن في بيت منذ يوم اصعدت اسرائيل الى هذا اليوم بل سرت من خيمة الى خيمة ومن مسكن الى مسكن » اى ١٧ : ٥ .**

هكذا اشترك معهم في المائدة الروحانية حينما وضع أمامهم وصايا الناموس مبدئياً ، مثل حروف الهجاء في تعليم الأولاد الصغار ، على أنها من ناحية أخرى كانت تحمل كمال العبادة في الخدمة الروحانية . وحينما أرسل الله أنبياءه الذين لم يعلموا

ويرشدوا لأجل حاضرهم فحسب ، بل للمستقبل بالنبوة . وأخيراً قام في وسطهم حسب التدبير الإلهي ، وظهر بتجسد الكلمة وعاش بينهم . « **هو وجد كل طريق التاديب واعطاها ليعقوب غلامه واسرائيل المحبوب منه . بعد هذا على الأرض ظهر ومع الناس تصرف** » باروخ ٣ : ٣٧ - ٣٨ . وساعدهم بطرق شتى وبالرغم منهم أيضا ، وفي غاية التدبير الإلهي اتخذ مكانه على المائدة ، ثم اضطجع في أورشليم كما في بيت يهودي ، ثلاثة أيام في قبره .

لذلك كان يقول : « **لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة** » مت ١٥ : ٢٤ ، وأيضاً كان يأمر تلاميذه قائلا : **بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة» مت ١٠ : ٦،** إذ أنه في كل شيء كان يفضل ذلك لكي يبين لهم انهم يصيرون غرباء عن كل مغفرة اذا لم يؤمنوا .

وبينما كانوا يتكئون على المائدة دون عمل ، ودون أن يغتذوا غذاء الذين يرغبون في الأمور الإلهية ، فإنهم حينما ذاقوا شبعوا حالا ونطقوا بشتائم ، « **فسمن يشوروون ورفس . سمنت وغلظت واكتسيت شحما . فرفض الاله الذي عمله وغبي عن صخرة خلاصه** » تث ٣٢ : ١٥ .

حينئذ دخلت فجأة المرأة الخاطئة في البيت . ان الكنيسة

قد حضرت من نفسها ، فهى التى أختيرت من بين الأمم فى كل المسكونة ، وقد آمنت طوعاً بالمسيح الذى كان عند المائدة مع الأشرار وناكرى الجيل .

وحسناً جداً قال الكتاب : « **واذا امراة فى المدينة كانت خاطئة** » **لو ٧ : ٣٧** ليس بأسلوب واحد ، بل بكل الطرق المختلفة من جهة الخطية وخاصة العهارة ، واعتاد الكتاب فعلا أن يطلقها على كل خطية على وجه العموم ، وبالأخص ترك عبادة الله وخدمته ، فهى فى كل مرة تؤدى إلى عبادة الأصنام الميتة . والحجارة والأخشاب ، بدلا من عبادة الله الواحد وحده .

وهذا ما يقوله داود أيضاً مرنماً لله : « **من لى فى السماء . ومعك لا أريد شيئا فى الارض . قد فنى لحمى وقلبى . صخرة قلبى ونصيبى الله الى الدهر . لانه هوذا البعداء عنك يبيدون . تهلك كل من يزنى عنك** » **مز ٧٣ : ٢٥ — ٢٧** . ويقول أيضاً : « **وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا . وذبحوا بنيهم وبناتهم للاوثان واهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الارض بالدماء . وتنجسوا باعمالهم وزنوا بافعالهم** » **مز ١٠٦ : ٣٦-٣٩** .

وكذلك فى سفر القضاة أيضاً : « **فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بايدى ناهبين فنهبوهم وباعهم بيد اعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف امام أعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم . فضاق بهم الأمر جدا** » **قضاة ٢ : ١٤ — ١٥** .

فكانت الكنيسة إذن قد أتت مثل هذه الأعمال وكانت تنمو فيها هذه العادات ، كانت خاطئة وخطيئتها متنوعة عديدة الأشكال .

وفى كلمة الإنجيل القائلة : « **واذا امراة فى المدينة كانت خاطئة** » **لو ٧ : ٣٧** دلالة كبيرة . فهى كانت مشهورة بطريقة ما فى كل المدينة بسبب الشر ، وعرف عنها فى كل مدينة لدى الناس أنها خاطئة ، وهى لا تتقرب بجرة ، لكن بعد اعترافها بالمسيح بعين المعرفة . ويقول الكتاب : « **اذ علمت انه متكئ فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب** » **لو ٧ : ٣٧** .

احضرت بفرح وعاءً من المر ممتلوءاً بالعطر ، رمزاً إلى الإيمان المجيد الحقيق الطاهر الذى يحوى قوام الفضائل الزكية

كما يحوى الوعاء الزجاجى الرائحة الزكية ، ويشير إلى العطر العقلى .

حينما وقفت من الخلف ، أى بعد المجمع ، إذ أنها كانت مدعوة ومقبولة فى المرتبة الثانية ، وهذا أيضاً ما كان الرسل أنفسهم يقولونه لليهود الذين لم يؤمنوا ولم يطيعوا الانجيل .

† † †

اختيار الكنيسة

« كان يجب ان تتكلموا انتم اولا بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الابدية هوذا نتوجه الى الامم . لانه هكذا اوصانا الرب . قد اقمتك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض فلما سمع الامم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب » ا ع ١٣ : ٤٦ – ٤٨ .

فى ذلك الوقت كانت الكنيسة التى أختيرت من بين الأمم تفرح وتمجد كلمة الرب ، بعد أن قبلتها بفرح . وتمثلت قديماً امرأة خاطئة ، تبكى على ما كانت تفعله فيما مضى وتفرح بما قد بدأ وما تنتظره أيضاً ، وهى تقبل بدون تخاذل . لا تقبل بدون بذل ، بل وهى تدهن قدمى يسوع بالطيب وتتشبث بخطواته بممارسة الفضائل .

لذلك أيضاً ، حينما يفحصها ويقارنها ويضعها أمام المجمع ، كان المسيح يقول لذلك الفريسى برمز : **« قبلة لم تقبلنى . واما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى » لو ٧ : ٤٥ .**

فاذا كان المجمع قديماً قد قام ببعض الأشياء التى أمر بها ، فانه لم يفعل ذلك عن محبة ، بل بالحرى عن خوف ، فى ذلة وبأسلوب العبيد ؛ لذلك أيضاً ، حينما كان الله يعطيهم الوصايا

كان يهدد بصنوف العذاب التى كانت موضوعة فى طريقهم والتى كانت تحدث فى الحال ، لكى يذعنوا للوصايا خشية أن يصيبهم بعد وقت قليل ما يصيب العبيد ، فلم يكونوا يطيعون بمحبة الأبناء لآبائهم .

وهذا ما كان بولس الرسول يقوله حينما كتب رسالته لأهل رومية : « **اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب** » رو ٨ : ١٥ .

لأنه كان يقول أيضاً فى هذه الوصية : « **فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك** » تث ٦ : ٥ . فلم يكن الذين أعطى لهم الناموس يحفظون تلك الوصية عن محبة ، بل عن خوف فقط . حينئذ تكون الوصية شاملة منيعة وعامة . فهو يقول: « **من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى . ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى . من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل يجدها** » مت ١٠ : ٣٧ – ٣٩ ، لأنه يريد أن تكون المحبة المتفرقة بين الناس التى يشترك فيها الوطن والجنس وقرابة الرحمة والصداقة وكل الأشياء الخارجية، تكون مجتمعة له وحده .

هذا ما أظهرته الكنيسة حقيقة كابنة ، كما يليق بالتبنى ، وبحماس ألقت بنفسها نحو الأخطار التى واجهتها من أجله ، حينما أكدت بشارتها بجهاد الاستشهاد وبالعذابات التى تحملتها من أجل التقوى ، حتى شملت كل الكرة الأرضية .

فمع أن الأناجيل تنذر بالنار التى لا تطفأ : « **وان اعثرتك يدك فاقطعها . خير لك ان تدخل الحياة اقطع من ان تكون لك يدان وتمضى الى جهنم الى النار التى لا تطفأ . حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ . وان اعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك ان تدخل الحياة اعرج من ان تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ . وان اعثرتك عينك فاقلعها . خير لك ان تدخل ملكوت الله اعور من ان تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار . حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ** » مر ٩ : ٤٣ – ٤٨ . فانها لا تثب بتأثير الخوف بطريقة العبيد؛ لأن ما يكون بعيد المسافة لا يبدو للكثيرين مخيفاً . فقد تحملت الكنيسة صنوف العذاب لأجل المسيح عن محبة ، وأظهرت نفسها قوية بها .

لذلك أيضاً كان يسوع يقول لهذا الفريسى : « **واما هذه فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى** » لو ٧ : ٤٥ . وهذا أيضا يبين مقدار المحبة للمسيح . فلم يقل : « **من يحب اباه او امه اكثر**

منى ، سوف يتألم بشيء ما او يكون فى عذاب »، لكنه قال : **« فلا يستحقنى » مت ١٠ : ٣٧ .**

وهذه صفة أولئك الذين حباهم الله نعمه ، لهم أن يقولوا ذلك وهم مطمئنون ويختاروا دون شك ما يرغبون . لأن هذه المرأة بعد أن اشتعلت فيها هذه المحبة ، كانت تقبل قدميه وتحنى رأسها وهى تمسح الدموع بشعرها وبعد أن سمع بطرس الرسول: **« ان كنت لا اغسلك فليس لك معى نصيب »** ، قال خائفا : **« يا سيد ليس رجلى فقط بل ايضا يدى وراسى » يو١٣:٨-٩.**

وفى اشتعال محبتها جعلت رأسها الخاطئة تلمس قدميه الإلهيين ؛ وبينما كانت تغتسل بالماء الذى يأتى من الدموع التى كانت تسيل وتنزل على أقدام يسوع ، كانت رأسها مليئة بكل معرفة ، بينما كانت قديما لا تشعر بالخطايا التى كانت ترتكبها بسبب العادة القديمة .

فضفيرة الشعر تبدو كأنها شيء لا يحس ، تقطع دون أن تسبب ألماً فى الجسم كما تسببه الأعضاء إذا قطعت منه . لحينما كانت المرأة الخاطئة تمسح قدمى ربنا يسوع المسيح بشعرها ، كانت تذكر انعدام الشعور . لذلك أيضا كانت تشعر بغفران

خطاياها وكانت تحب كثيراً : **« قد غفرت خطاياها الكثيرة لانها احبت كثيرا والذى يغفر له قليل يحب قليلا » لو ٧ : ٤٧ .**

قيل ذلك لتعليم هذا الفريسى وكل الجمع الذين يفكرون فى الناموس أن المرأة وهى لم تكمل حق الناموس عليها ، كانت تحتاج لمغفرة صغيرة ؛ لأن الذى يشعر شعوراً تاما يعرف جيداً أنه يحتاج إلى مغفرة عظيمة ، فيغفر له كثيراً ؛ ينظر إلى كل المحبة كأنها قليلة ، ويقول ما هو مكتوب فى نشيد الانشاد : **« ان اعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا » نشيد الانشاد ٨ : ٧ .**

إذن ان كان أحد يريد أن يحب المسيح ، فلا يكن ذلك بمحبة غير فعالة ، بل ليمسحه بعطر الفضائل ، ملازما كل وصية ، وليس فقط ملازماً هذه الوصية وغير ملازم لتلك ، لأن الطيب شامل لكل الوصايا . هكذا أيضا يكون عبير رئيس الكهنة والمعلم . فموسى كان يسمع الله يقول : **« وانت تاخذ لك افخر الاطياب . مرا قاطرا خمس مئة شاقل وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين وقصب الذريرة مئتين وخمسين وسليخة**

خمس مئة بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هنيا (١) وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة . عطر عطارة صنعة العطار . دهنا مقدسا للمسحة يكون ».

وتكلم بنى إسرائيل قائلا : **« يكون هذا لى دهنا مقدسا للمسحة فى اجيالكم » خر ٣٠ : ٢٣ — ٢٥ ، ٣١ .**

يجب إذن علينا كما اننا قد مسحنا ، ان نجعل ايضا الأطياب المذكورة فى الناموس تتضوع من كلمة التعليم وليس من زهرة أخرى غريبة ، فلا يبدو لها رائحة مصطنعة ، ولا نأتى بها الى خزى دفين وفق روايات الوثنيين ؛ لأن مثل هذه الأساليب ليس فيها شذى الفضائل ، بل بالحرى سم ممیت . ويجب أيضاً أن تكون هذه العطور المذكورة فى الناموس موزونة بالموازين التى يذكرها العارفون بفن العطارة والكهنة معلمو الارثوذكسية ، وان نطرد بعيداً ما يخرج عن سلطانهم ونعتبره كفراً ، حتى وان كان الذى يقوله آتيا من السماء ، كما يقول بولس الرسول :

---

(١) نوع من المقاييس .

« ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن انا اليما » غل ١ : ٨ .

وبهذه الطريقة يمتزج عطر التعليم الخالى من التغيير بعطر اعمال السامعين ، وتكون جميعا حسب قول بولس الرسول : **« رائحة المسيح الزكية » ٢ كو ٢ : ١٥.**

له المجد إلى أبد الدهور آمين .

† † †